بسم الله الرحمن الرحيم

التَّثَبُّتُ في الأَخْبَارِ مَنْهَجُ الأَخْيَارِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَثَّ عَلَى التَّثَبُّتِ وَالتَّأَنِّي، وَجَعَلَ الوُصُولَ إِلَيْهِمَا بِالعَمَلِ لا بِالتَّمَنِّي، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْثَرُ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ، وَأَبْعَدُهُمْ عَمَّا فِيهِ ضُرٌّ وَشَرٌّ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي كُلِّ حِينٍ؛ فَإِنَّ التَّقْوى شِعَارُ المُؤْمِنِينَ، وَهَدْيُ الصَّالِحِينَ، وَالمُوصِلَةُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[١].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

اعْلَمُوا -جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ المُتَثَبِّتِينَ- أَنَّ التَّأَنِّيَ فِي الأُمُورِ خَيْرُ مَا يَحْرِصُ عَلَيْهِ العُقَلاءُ، وَيَتَسَابَقُ إِلَيْهِ المُؤْمِنُونَ الأَتْقِيَاءُ؛ لِمَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ، وَخَيْرٍ عَلَى الإِنْسَانِ عَمِيمٍ، وَلأَجْلِ هَذَا جَاءَتْ عِنَايَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِهِ، وَحَضَّتِ السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[٢]، فَأَمَرَنَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ نَتَبَيَّنَ فِي أَمْرِنَا، وَلا نَسِيرَ خَلْفَ كُلِّ زَاعِمٍ لِشَيْءٍ وَمُدَّعٍ؛ كَيْ لا نَتَّهِمَ أَحَدًا عَلى جَهْلٍ، ثُمَّ نَنْدَمَ وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ، وَلِكَيْ لا يَقَعَ الإِنْسَانُ فِي الخَطَأِ جَاءَ أَمْرُ القُرْآنِ بِذَلِكَ قَائِلًا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[٣]، وَفِيهِ دَلالَةٌ وَاضِحَةٌ أَنْ يَحْرِصَ الإِنْسَانُ عَلَى الحَدِيثِ فِيمَا يَعْلَمُ، وَفِيمَا يُحْسِنُ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَيْقِنَهُ؛ فَـ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٤]، وَهَكَذَا أَمَرَ الإِسْلامُ بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ وُجُودِ أَيِّ شُبْهَةٍ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[٥]، وَالمُتَأَمِّلُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِلْهُدْهُدِ: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[٦]، يَجِدُ فِيهِ

(١)التوبة: ١١٩
(٢)الحجرات: ٦
(٣)الإسراء: ٣٦
(٤)الإسراء: ٣٦
(٥)النساء: ٩٤
(٦)النمل: ٢٧

دَلِيلًا عَلَى أَنَّ التَّثَبُّتَ أَمْرٌ مُهِمٌّ مَحْمُودٌ، وَأَنَّ عَدَمَ فِعْلِهِ مَذْمُومٌ. وَلا يَعْزُبُ عَنْ ذِهْنِكُمْ -مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ- مَا حَفَلَتْ بِهِ السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ مِنْ عِنَايَةٍ بِأَمْرِ الكَلِمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا المَرْءُ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ فِيهِ؛ فَإِنَّهَا قَدْ تُورِدُهُ المَهَالِكَ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ: ((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي التَّثَبُّتُ فِيهِ نِسْبَةَ أَيِّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ، أَوِ الحَدِيثَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ خَطِيرَةٌ، وَإِتْيَانَهُ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وَمِنْ ذَلِكَ التَّثَبُّتُ فِي قَبُولِ الأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ-: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))، وَإِنْ كَانَتْ نِسْبَةُ شَيْءٍ إِلَى النَّبِيِّ لا تَكُونُ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ، فَكَذَا نَفْيُ ثُبُوتِ شَيْءٍ عَنْهُ ﷺ، لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالتَّشَهِّي وَاتِّبَاعِ الهَوَى، بَلْ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْ عِلْمٍ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الإِفْتَاءُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ إِفَادَةُ النَّاسِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ: ((مَنْ أَفْتَى مَسْأَلَةً أَوْ فَسَّرَ رُؤْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَكَأَنَّمَا وَقَعَ مِنَ السَّمَاءِ فَصَادَفَ بِئْرًا لا قَعْرَ لَهَا)). وَمِنْ صُوَرِ التَّثَبُّتِ المُهِمَّةِ التَّأَنِّي فِي إِطْلاقِ الأَحْكَامِ عَلَى النَّاسِ، فَقَدْ جَرَّ ذَلِكَ إِلَى مَزَالِقَ كَثِيرَةٍ، وَوَبَالٍ كَبِيرٍ، فَلا يَعْجَلِ المَرْءُ فِي الحُكْمِ عَلَى غَيْرِهِ، وَلا يَكُنْ هَذَا لَهُ دَيْدَنًا إِلَّا مَا يَرَى فِيهِ مَصْلَحَةَ الحُكْمِ عَلَى غَيْرِهِ غَالِبَةً، أَمَّا اتِّخَاذُ الحُكْمِ عَلَى النَّاسِ هِوَايَةً يُتَلَذَّذُ بِها، هَذَا صَالِحٌ، وَذَاكَ طَالِحٌ، فَهُوَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الحِكْمَةِ، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ. إِنَّ عَدَمَ العَجَلَةِ فِي نَقْلِ الأُمُورِ أَمَارَةٌ عَلَى عَقْلِ المَرْءِ، وَدَلِيلٌ عَلَى حِكْمَتِهِ وَوَعْيِهِ، وَمِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اليَوْمَ المُسَارَعَةُ فِي نَقْلِ الأَخْبَارِ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ دُونَ رَوِيَّةٍ وَلا تَمَهُّلٍ، وَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ فِي سِبَاقٍ حَمِيمٍ إِلَى نَقْلِ الخَبَرِ أَوَّلًا، وَنَسُوا -هَدَاهُمُ اللَّهُ- حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: ((كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَاتَّخِذُوا التَّثَبُّتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ صَاحِبًا، وَالتَّأَنِّيَ قَبْلَ الإِقْدَامِ عَلَى الأُمُورِ مَرْكَبًا.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ

(١)الأعراف: ٣٣

هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِالعَقْلِ، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِلْحُكْمِ الحَسَنِ وَالوَعْيِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَحْسَنُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَفْضَلُهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ، وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ:

لَقَدْ حَبَاكُمُ اللَّهُ نِعْمَةَ العَقْلِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِحُسْنِ الفَهْمِ، وَجَعَلَ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ اسْتِعْمَالَهُ فِيمَا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ، كَالتَّأَنِّي فِي الأُمُورِ، وَالإِقْدَامِ بَعْدَ التَّفْكِيرِ وَالتَّمْحِيصِ، وَجَعَلَ لَهُ حِكَمًا وَأَسْرَارًا، وَفَوَائِدَ وَآثَارًا، فَمِنْ فَوَائِدِهِ السَّلامَةُ مِنَ الوُقُوعِ فِي الخَطَأِ؛ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كُلَّمَا كَانَ تَرَيُّثُهُ فِي الأَمْرِ أَكْثَرَ كَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً إِلى أَنْ يَخْرُجَ الأَمْرُ صَحِيحًا سَالِمًا مِنَ العُيُوبِ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ دَاعٍ إِلَى الثِّقَةِ بِأَهْلِ الإِيمَانِ، وَدَافِعٌ إِلى حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[1]، وَإِحْدى فَوَائِدِهِ المُهِمَّةِ أَنَّهُ يَقِي النَّفْسَ تَأْنِيبَ الضَّمِيرِ النَّاشِئَ عَنِ العَجَلَةِ ﴿ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[2]، وَيَعِيشُ المُجْتَمَعُ الَّذِي يُحْسِنُ الظَّنَّ وَيَتَأَنَّى وَلا يَعْجَلُ فِي طُمَأْنِينَةٍ وَسَكِينَةٍ؛ لأَنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ الأَمْرَ دُونَ عِلْمٍ، وَلَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهِ دُونَ رَوِيَّةٍ، وَلَنْ يَفْعَلَهُ اتِّبَاعًا لِهَوَاهُ، فَيَخْرُجُ مُجْتَمَعٌ مُحِبٌّ لِغَيْرِهِ، حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ، لا يَبْحَثُ عَنْ عَثَرَاتِهِ، وَلا يَتَتَبَّعُ زَلَّاتِهِ، هَادِئٌ مُتَأَنٍّ وَاعٍ لِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّثَبُّتَ فِي الأَخْبَارِ مَنْهَجُ الأَخْيَارِ، وَشِعَارُ أُولِي الأَبْصَارِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا

(١) النور: ١٢
(٢) الحجرات: ٦
(٣) الأحزاب: ٥٦

إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.